ليبيا بين الجغرافيا الطبيعية والجغرافيا البشرية

أ.د. منصور محمد الكيخيا
قسم الجغرافيا
كلية الآداب _ جامعة بنغازي

الملخــص:
لكل من الجغرافيا الطبيعية والجغرافيا البشرية تأثيرها في المكان والسكان، فظواهر البيئة الطبيعية من موقع وتضاريس ومناخ وموارد بشرية تشكل الإطار الجغرافي العام للدولة ، وتتفاعل مع المكونات البشرية التي تعيش عليها، ومع التغيرات التاريخية التي مرت بها ، لتعطي الدولة معالمها ، وتحدد صفاتها ، ومدى فاعليتها في محيطها الإقليمي والدولي ... أي تحدد ملامح شخصيتها .. وهذا ما تحاول هذه الدراسة تلخيصه وإبرازه في ليبيا .

ظاهرة طبيعية أثرت وما زالت تؤثر في ليبيا منذ فجر التاريخ حتى عصر النفط ، وهي كونها مساحة جغرافية واسعة من الأراضي الجافة قليلة أو نادرة الأمطار ، خالية من الأنهار والمجاري المائية . قليلة الإنتاج الزراعي والصناعي ، منخفضة الكثافة السكانية لدرجة أن مساحات واسعة من أراضيها تكاد تخلو من السكان . هذه البيئة - فقيرة الإمكانيات والسكان - تقع جغرافياً بين جزيرتين سكانيتين عامرتين بالإمكانيات الاقتصادية والبشرية .

الموقع الجغرافي لليبيا بين هاتين الكتلتين جعلها حداً فاصلاً بينهما ، ففي غربها تقع منطقة شمال أفريقية الأطلسية بمرتفعاتها وغاباتها وأنهارها ووديانها وتجمعاتها السكانية ، وفي شرقها تقع كتلة أخرى أكثر حيوية واستقراراً وسكاناً تُعمّرُ وادي النيل شماله وجنوبه منذ أزمنة موغلة في القِدم . كهذا تظهر المساحة التي تشغلها ليبيا فراغاً (Non écoméne) بين منطقتين عامرتين (Ĕcoméne) ، فهي إذن تشكل حداً فاصلاً بينهما ، ومجالاً حيوياً لكل منهما . . هكذا كانت الرقعة الجغرافية التي تشكلها ليبيا على مر العصور ، تتأثر بتغيرات أوضاعها الخاصة ، وبتغيرات الكلتين المتاخمتين لها شرقاً وغرباً ، فإذا قويت شوكة إحداهما وملكت القوة والتفوق أغراها ذلك بالتوسع ؛ فتحاول الهيمنة على الأجزاء التي تليها من ذلك الفراغ الجغرافي تأمينياً للحدود وبسطاً للنفوذ ، وقد يتعدى الأمر إلى أن تعبر إحداهما ذلك الفراغ محاولة السيطرة على الأخرى ، لتتحول ليبيا في هذه الحالة إلى جسر عبور للقوات المتصارعة .

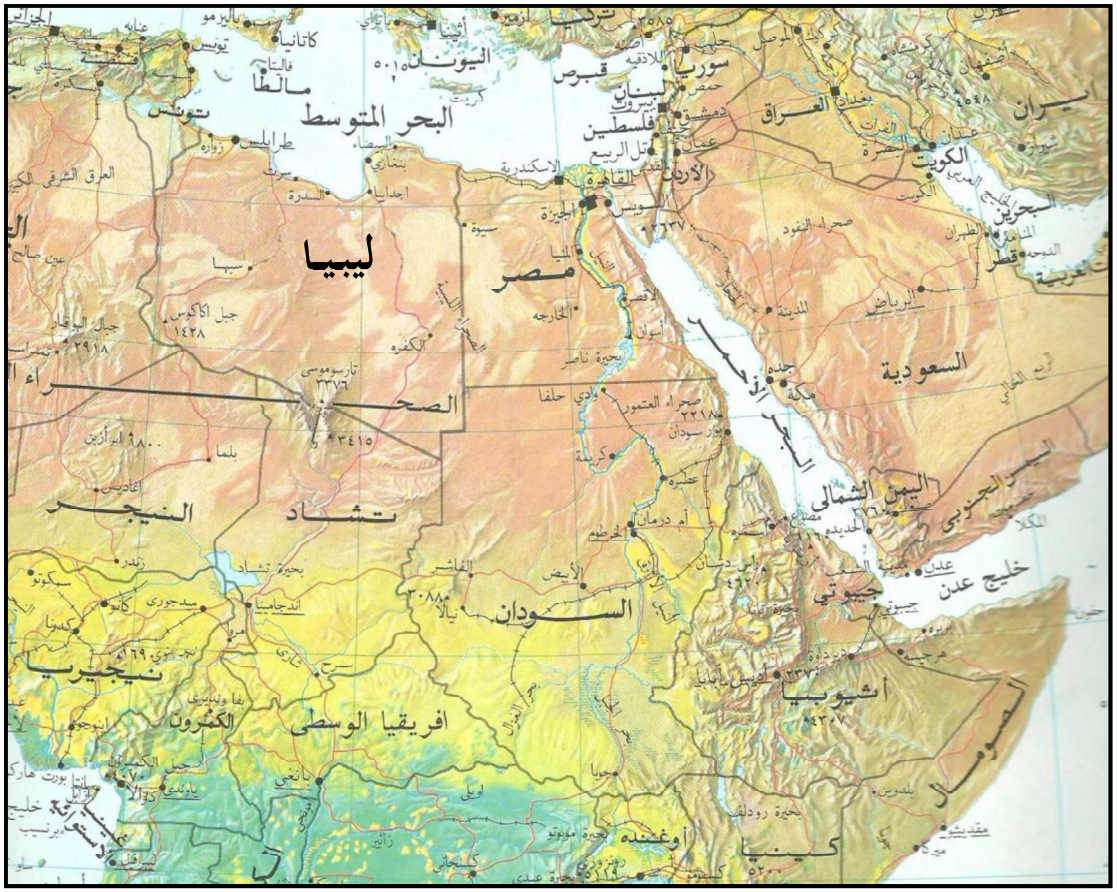

خارطة تبين الموقع الجغرافي لليبيا

تكرر هذا المشهد أكثر من مرة عبر التاريخ الليبي ، ولكن حدوثه كان دائماً على فترات متباعدة تفصل بينها حقب تاريخية مديدة يلتئم فيها شمل هذه الرقعة الجغرافية الواسعة ، وتستقر أوضاعها ، وتدب الحيوية في سكانها على الرغم من قلتهم ، وتتواصل جماعاتها البشرية متابعة حياتها وكفاحها في مواجهة الظروف الجغرافية والحياتية الصعبة ، وتتحسن علاقتها بجيرانها ، ويجتذب سكانها عُمرانُ تلك المناطق ، فترحل مجموعة منهم مهاجرة إلى تلك الأراضي الأكثر عمراناً في وادي النيل أو مرتفعات الأطلسي ، وربما أصبحت تلك الرقعة الفقيرة نفسها معبراً لهجرات مسالمة تعبرها من المنطقة الأطلسية إلى وادي النيل أو العكس

أثرت الطبيعية الجغرافية والموقع تأثيراً واضحاً في نمط الحياة خلال جميع مراحل التاريخ الليبي ، فليبيا تتأثر بالمناطق المتاخمة لها شرقاً وغرباً ، وتتأثر أيضاً بالمناطق الأفريقية الواقعة جنوبها ، وبأوروبا المتوسطية الواقعة شمالاً ، فالجنوب الليبي في فزان والكفرة يتكامل مع أطرافه الممتدة داخل الدول المجاورة، فطبيعياً تمتد كلالهضابوالمرتفعات مثل : العوينات وتيبستيوتاسيلي وغيرها في اتجاه الجنوب ، لتتكامل مع أجزئها الأخرى الواقعة داخل حدود السودان وتشاد والنيجر والجزائر ، وهذا ينطبق أيضاً على الجانب البشري، فالجماعات الليبية التي تقطن تلك الجهات مثل التبو والطوارق وبعض القبائل العربية لها امتداداتها البشرية وروابطها العشائرية في تلك الأقطار .

الوضع نفسه نجده في الشمال على سواحل المتوسط ، فشواهد التاريخ القديم تثبتُ توافد جماعات على المناطق الساحلية الليبية وتكوينها المستوطنات فيها، مثل المدن التي أسسها الفينيقيون القادمون من شمال شرق المتوسط على ساحل الغرب الليبي ، ثم ورثها عنهم القرطاجيون ، والمدن التي أسسها الإغريق على الساحل الشرقي للبلاد ، وقد انتهى أمر تلك المدن شرقها وغربها إلى سيطرة الرومان القادمون من جنوب وشرق أوروبا وجزر البحر المتوسط .

هذه هي ليبيا ، جزء من كل كبير ومتعدد الأوجه والأعراق والحضارات ، ولكنها تحتفظ في نفس الوقع بكيان مستقر مميز ، فموقعها الوسطي وتكوينها الجغرافي ومساحتها الشاسعة لم تمكنها من الالتحاق بشكل متكامل بطرف معين من تلك الأطراف رغم العلاقات الوطيدة التي تربطها بالجميع . . . فليبيا لها امتداد واسع على ساحل المتوسط ، ولكن أغلب المناطق الليبية لا تحمل الطابع المتوسطي ، ولها أيضاً حدود أكثر طولاً مع الدول الأفريقية ، ولكنها لا تحمل الطابع الأفريقي الخالص . وهي في نفس الوقت تشكل طرفي المشرق والمغرب العربيين ، فهي تمثل الحد الغربي للمشرق العربي ، وفي نفس الوقت تمثل الحد الشرقي للمغرب العربي، ولكن بعض المناطق الليبية لا تحمل طابع المشرق العربي ، وبعضها الآخر لا يحمل طابع المغرب العربي .

فليبيا من حيث موقعها وتكوينها الجغرافي وتركيبها السكاني والاجتماعي تمثل جزءاً من كل طرف من الأطراف المحيطة بها لا تنفصل عنه ، وهي بتوليفتها الفريدة وأطيافها المتمازجة تمثل وحدة قائمة بذاتها تستمد ترابطها من تنوعها وتآلفها من تعددها ! وهو أمر ناتج من علاقة الشعب الليبي مع الشعوب المجاورة ، وعلاقة الجماعات التي تكون هذا الشعب بعضها ببعض .

إن الشعوب المكونة لأقطار الجوار وبصفة خاصة القوى الحاكمة فيها كانت تنظر دائماً إلى الكتل الليبية على أنها هامشية لا ترقى إلى صلب تكوين دولتها الأصيل ، لا من حيث طبيعتها ولا من حيث تكوينها السكاني ، هذا " التهميش " من طرف دول الجوار هو الذي دفع الليبيين إلى البحث عن ذاتهم في الداخل ، فالجماعات الليبية التي تعيش في مناطق الحدود ولها روابط عرقية وأثنوجرافية مع الجماعات التي تعيش على الجانب الآخر من الحدود السياسية ، تشعر بمكانتها الاجتماعية وحِسَّها الوطني بين الجماعات الليبية الأخرى داخل ليبيا أكثر مما تشعر بها بين مواطني دول الجوار .

لا يقصد بكلمة " التهميش " في هذا المقام أي إهانة أو تحقير للشعب الليبي، ولا يقصد بها كذلك أن الشعوب المجاورة تهدف بها إلى الحط من مكانة الجماعات المكونة للشعب الليبي ، فالمقصود بإيرادها في هذا المقام مجرد وصف ظاهرة سكانية وسياسية فرضتها العوامل الجغرافية في المنطقة ، فعند النظر إلى موقع ليبيا بين جيرانها ، وإلى تكوينها الجغرافي ، نجدها تقع على أبعد نقطة من ساحل المتوسط في اتجاه الجنوب ، فهي بالنسبة لسكان جنوب أوروبا منطقة بعيدة نائية يفصلها عن أراضيهم بحر ، فهي من نظرهم منطقة هامشية (Marginal)[1] ، وسكانها لا يشكلون جزءاً أساسياً من شعوبهم ، ولعل أقربمثال يُظهر هذه الحقيقة أن إيطاليا الاستعمارية عندما احتلت ليبيا أرادت أن تلحقها كجزء لا يتجزأ من الدولة الإيطالية وأطلقت عليها اسم " الشاطئ الرابع " ، ولكن هذه الفريةالاستعمارية لم تدم طويلاً ولم يقتنع بها أحد حتى الشعب الإيطالي نفسه ، لأنها غير واقعية ولا تؤيدها المعطيات الجغرافية الطبيعية والبشرية .

حدث عبر التاريخ الليبي تحركات مشابهة من قبل بعض الدول التي قامت في المشرق العربي وفي المغرب العربي ، وكذلك من بعض السلطنات الأفريقية في الجنوب ، وقد تم خلال تلك التحركات محاولات لاستقطاع أجزاء شرقية أو غربية أو جنوبية وضمها إلى بعض دول المغرب العربي أو المشرق العربي أو أفريقيا جنوب الصحراء ، ولكن كل تلك الفترات من التجزئة لم تدم طويلاً ، ولم يسفر عنها انسلاخ أي جزء من ليبيا عن الكتلة الليبية الأم بشكل دائم ، لأن تلك المحاولات كانت مخالفة للوضع الطبيعي جغرافياً وبشرياً ، فهي لم تكن في الواقع إلا نتيجة للمغالبة السياسية والعسكرية بين دول الجوار ، ومحاولات لبسط النفوذ والتوسع في السيطرة والحكم .

لذلك وجدنا أنه بمجرد أن تضعف تلك المغالبات وتخبو نار المصادمات السياسية والعسكرية يعود الاستقرار والهدوء إلى المنطقة ، وتبرز ليبيا كوحدة وككيان مترابط الأجزاء الجغرافية ، ومتآلف الجماعات العرقية والأثنية ، أي تعود ليبيا إلى وضعهاالطبيعي ، لأن ذلكالتقاربهو الذي تفرضه طبيعة المنطقة جغرافياً وسكانياً وثقافياً ، فهذه الرقعة الجغرافية التي تسمى ليبيا لا يستقر وضعها إلاّ مجتمعة بكيانها وطبيعتها وطابعها ، فهي تبرز في المنطقة كوحدة قائمة بذاتها من جهة ، وكنقطة وصل واتصال بين دول الجوار في شمالها وجنوبها وشرقها وغربها من جهة أخرى .

إن الموقع الوسطي ، واتساع الرقعة ، وتعدد مظاهرها الجغرافية عوامل مهمة في تكوين الطابع العام الذي يميز ليبيا وسكانها منذ أقدم العصور وحتى الآن، فطبيعة الأرض الليبية مزيج من المعالم الجغرافية ، وطبيعة الشعب الليبي مزيج من الأقوام والقبائل والثقافات واللهجات . . وكأن اتساع الرقعة الجغرافية الليبية كانت دافعاً إلى توجه تلك الجماعات السكانية المتباعدة إلى الداخل ، ولم تكن دافعاً لهم إلى الاتجاه إلى الخارج ، فسكان سهل الجفارة وجبل نفوسة في الشمال الغربي لم يقطعوا صلتهم بأبناء عمومتهم المقيمين داخل الأراضي التونسية ، ولكنهم لم يفكروا يوماً في قطع صلتهم بليبيا التي يعتبرونها موطنهم الأصلي ، وهذا القول يصدق على طوارقغدامس وأوباري وغات والعوينات والبركت ، وكذلك على تبوالقطرونوتجرهي وواحات واو والكفرة وربيانة ، وهو يصدق على سكان البطنان والدفنة في الشمال الشرقي الذين تربطهم صلات الدم والثقافة بسكان الساحل الشمالي والصحراء الغربية في مصر ، ولكنهم لم يشعروا يوماً أنهم مصريون .

إن الجماعات والقبائل المتوطنة في أطراف الوطن مثلها مثل القبائل والجماعات المتوطنة في عمق الوطن ، تشعر كلها أنها تنتمي إلى هذه الأرض التي تسمى ليبيا ، سواء في مفهومها السياسي أو في مفهومها الجغرافي ، أو في مفهومها الاجتماعي .

لا تتكون الوحدة الليبية من عنصر واحد محصور في منطقة جغرافية ضيقة ومعزولة ، بل تكونت من جماعات وثقافات متعددة عاشت متزامنة أو على فترات متباعدة من التاريخ في نفس المجال الجغرافي ، وصُهرت في بوتقة واحدة هي ليبيا . . . هذه الظاهرة ليست جديدة ، فقد وجدنا جذورها في أعماق التاريخ الليبي القديم منذ العصر الحجري الأعلى ، أي منذ عصور ما قبل التاريخ ، فقد عُثر على المخلفات الحجريةلتلك الحقبة البعيدة في كثير من المواقع في أنحاء متعددة من ليبيا ، قد يكون وجود تلك المخلفات مهم لأنه دليل على وجود الإنسان في هذه البلاد منذ فجر التاريخ الإنساني ، ولكن الأمر الأكثرأهمية هو

التشابهوالتماثل بين سكانها منذ ذلك الزمان الغابر عرقياً وأثنياً ، وقد لفتت هذه الظاهرة انتباه عالم الآثار والتاريخ الذي أجرى العديد من الدراسات الأثرية في ليبيا وهو العالم الفرنسي فرنسوا شامو الذي سجل الملاحظة التالية :

" فمحطات التجمعات البشرية بالمنطقة الساحلية تمدنا بأدوات أثرية تماثل إلى حد مثير للدهشة تلك الأدوات التي تم العثور عليها في محطات المؤخرة الصحراوية للإقليم ، وهذا التماثل في الأدوات جدير بالاعتبار ، إذ لا مثيل له في بقية أصقاع شمال أفريقيا " [(2)]. وهذا في اعتقادي دليل كافٍ على تمازج سكان هذه البلاد منذتلك الأزمنة الموغلة في القدم ، ودليل على أن المسافات البعيدة وتباين المظاهر والظروف الجغرافية لم تمثل حاجزاً أو مانعاً للاتصال بين سكان هذه البلاد .

أحيطت ليبيا في العصور القديمة بمراكز لحضارات قوية مستقرة ، فمن الحضارات الفرعونية في وادي النيل إلى حضارات البحر المتوسط الفينيقية والإغريقية والقرطاجينية والرومانية إلى حضارات أفريقيا السوداء ، حيث نشأت في جنوب الصحراء مجموعة من الممالك والسلطانات استمرت حية حتى دخول الاستعمار الأوروبي إلى أفريقيا ، إن موقع ليبيا وسط هذه الحضارات المتنوعة جعلها متأثر بها وتؤثر فيها ، وجعلها دائماً طرفاً وشريكاً يتأثر بتلك الحضارات سلباً وإيجاباً ، فقد احتضنت ليبيا فروعاً من تلك الحضارات ، أما مهدها ومصدرها ومراكزها الأصلية فقد كانت خارج ليبيا .

اندمجت بعض الجماعات من السكن الأصليين (الليبيين) الذين كانوا يقطنون مناطق الشمال الليبي والذين احتكوا بعدد من تلك الحضارات وأهلها ، وتأثروا بها ، وساهموا فيها ، أما الجماعات الأخرى التي كانت تعيش خارج مناطق نفوذ تلك الحضارات فقد عاشت حياتها المعتادة غالباً على الرعي والزراعة المطرية ، واستمرت في مزاولة طقوسها العقائدية وتقاليدها الاجتماعية، فقد كان أهل تلك الحضارات من إغريق وقرطاجنيين ورومان يعدون أنفسهم سادة في مستوى اجتماعي أرقى من السكان الأصليين ، ولم يختلف سلوك الفراعنة قبلهم عن ذلك ، فلا يكاد يذكر الليبيون في النقوش الأثرية الفرعونية إلا كأسرى وعبيد ومجندين يفتخر ملوك الفراعنة بغزوهم وكسر شوكتهم وإبعاد خطرهم عن أرض الفراعنة وجلب المغانم منهم من مواشي وأغنام وأسلحة .

لم تكن ليبيا ـ بحكم موقعها الجغرافي ـ في معزل عن كل تلك التيارات الحضارية التي سبقت الفتح الإسلامي ، فقد كانت جميعها ذات تأثيرات وقيم واردة من الخارج ، ولم تنجح أي حضارة منها في احتواء الليبيين جميعاً وصهرهم في بوتقتها ، ولم تنجح أيضاً في طبع كل المناطق الليبية بطابع حضاري موحد يتخذالصبغة الحضارية المحلية الخاصة بليبيا ، بل كان أهل تلك الحضارات ينظرون إلى الليبيين على أنهم مواطنون في مرتبة أقل ، وكان الليبيون ينظرون إليهم بعين الشك والريبة ويرفضون استعلاء تلك الأقوام عليهم .

كانت الحضارة الفينيقية أكثر تلك الحضارات تقبلاً للسكان الأصليين والاندماج فيهم ، حتى أن سكان المدن التي أنشأها الفينيقيون على الساحل الشمالي الغربي كانت غالبيتهم من السكان المحليين الذين اختلطوا بالفينيقيين الوافدين ، وأعتقد أن ذلك راجع إلى سببين رئيسيين ،

أولهما هو التشابه في التنظيم الاجتماعي العشائري لكلا الطرفين مع وجود بعض المصطلحات والمفردات المشتركة في لغة الجماعتين ، ثم تطور ذلك حتى انتهى إلى اعتماد لغة جديدة هي اللغة البونية التي هي خليط بين اللغة الفينيقية ولغة أهل الشمال الأفريقي الأصليين، وقد استعملت هذه اللغة في كل المنطقة التي كانت تسيطر عليها قرطاجنة ، وقد نقل الأستاذ فيصل علي الحربي عن المؤرخ الروماني (Romanelli) قوله :

" ولقد ظلت اللغة البونية مستعملة في مدن طرابلس حتى بعد سقوط قرطاجنة ، فظهر أثر ذلك في الكتابات التي وجدت على بعض الآنية الفخارية التي تُجمع فيها بقايا الإنسان المحروق بعد وفاته والتي عُثر عليها في مدينة لبدة ".

ويقول رومانللي في نفس السياق :

" ومن الغريب أن اللغة الفينيقية عندما أخذت في الزوال من شمال أفريقيا قد زالت من مدينة قرطاجة نفسها ، بينما بقيت مستعملة في مدن إقليم طرابلس"[3]. وهو يقصد هنا اللهجة أو اللغة البونية المتفرعة من الفينيقية والتي يسمها بعض المؤرخين فينيقية الشمال الأفريقي ، ويرجحون أنها أصل اللغة الأمازيغية . أما السبب الثاني فهو أن التواجد الفينيقي على سواحل المتوسط كلها لم يكن يهدف إلى تكوين دولة فينيقية ، وكان هدفه الأصلي هو إنشاء محطات ساحلية ترسو بها سفنهم التجارية التي كانت تجوب البحر المتوسط الغربي في ذلك الزمن فتنقل السلع التجارية علىطول سواحل شمال أفريقيا وجنوب أوروبا ، وقد تحولت تلك المحطات إلى مدن تجارية عامرة استقر بها الفينيقيون واختلطوا بسكان البلاد الأصليين .

أما الإغريق وبشكل أوضح الرومان فقد كان هدفهم حُكم تلك المناطق وإلحاقها بدولهم في أوروبا وفرض حضارتهم عليها ، وفرض أنفسهم كعنصر بشري متفوق يحتل مكانة أسمى من السكان الأصليين ، مما جعل هؤلاء الأخيرين يشعرون بأنهم يعيشون في دولة ليست دولتهم ، ويتثقفون بثقافة ليست ثقافتهم .. ذلك الشعور كان سبباً في توحيد الليبيين وجعلهم يحسون بضرورة التقارب والترابط والتعاون لضمان البقاء والمحافظة على مكانتهم الاجتماعية واعتزازهم بالروح الوطنية ، وإصرارهم على التمسك والارتباط بالأرض التي يعيشون عليها، كانت كل جماعة تحافظ على منطقتها ومجال زراعتها ، والشعور بأن منطقتها جزء من تلك المنطقة الفسيحة على الساحل الجنوبي للبحر المتوسط الممتدة في قلب الصحراء الكبرى ، وأن جماعتهم جزء من تلك الجماعات التي تعيش في المنطقة قبل وفود الإغريق والرومان إليها .

ذلك الشعور الوطني المحلي كان دائماً يتفوق على شعور الانتماء إلى أثينا أو روما أو القسطنطينية أو غيرها من مواطن الحضارات التي هيمنت على أجزاء واسعة من ليبيا قبل الفتح الإسلامي ، أما بعد الفتح فقد تغير التاريخ الليبي والحضارة الليبية تغيراً جذرياً . . لأن الإسلام حمل إلى البلاد بعد فتحها عقيدة دينية ولغة وحضارة لا سادة فيها ولا عبيد ، ولا إلزام فيها لأحد أن يغير أسلوب حياته أو ثقافته أو انتمائه العرقي ، فقد عمّت البلاد عقيدة التوحيد ، وحُرِّم كل تصرف يتنافى مع ثوابتها ، أما فيما عد تلك الثوابت فقد بقيت كل خصوصيات البلاد وأهلها وأسلوب حياتها وإدارة سياستها وعلاقتها الاجتماعية على ما كانت عليه .

هناك نوع من الاتفاق بين الرحالة والجغرافيين والمؤرخين الذين كتبوا عن ليبيا خلال فترة العهد العثماني وفترة الاستعمار الإيطالي وحتى بعد ظهور دولة ليبيا المستقلة في

منتصف القرن العشرين ، وكلهم من غير الليبيين . فهم يقرون جميعاًبأن الموقع الجغرافي والمساحة الشاسعة ، وتعدد مظاهر التضاريس كانت سبباً في التشتت الطبيعي والبشري وضعف الروابط الجغرافية والسياسية والاجتماعية بين مناطق ليبيا المختلفة وجماعتها السكانية . وقد نقل عنهم معظم الجغرافيين والمؤرخين والمفكرين الليبيين المحدثين ، وطفقوا يرددون تلك الفكرة دون تمحيص أو تدقيق ، قد لا ألوم في هذا الأمر الكُتّاب والمؤرخين ، ولكنني أعتب على الجغرافيين الليبيين الذين لم يهتموا بدراسة هذه الظاهرة وعلاقتها بموقع ليبيا ومساحتها وتنوع مظاهرها الجغرافية .

إن ما ذهب إليه الرحالة والجغرافيون والمؤرخون والكُتّاب قد يبدو لأول وهلة أنه حقيقة ، وأنه نتيجة حتمية لموقع ليبيا الجغرافي ومساحتها الشاسعة واختلاف مظاهرها الطبيعية ، غير أن الدارس الفاحص المتمعن تبدو له الحقيقة على غير ما ذهب إليه هؤلاء ، وهم في الغالب من الأوروبيين ومن قلة من العرب من غير الليبيين ، وهم جميعاً ينتمون إلى دول حضارية عريقة تُدار أمورها من عواصم عتيدة قوية لها ثقلها في أوطانها وتشكل مراكز جذب وهيمنة على كل أنحاء بلادها في صورة تمثل المركزية القوية الثابتة في التحكم والإدارة، الأمر الذي لم ييسره الموقع والمساحة والتكوين الجغرافي لليبيا ولعاصمتها طرابلس .

هذه حقيقة نقرها ولكنها لم تكن سبباً في تشتت وتفكك المناطق الليبية وسكانها ، بل ربما كان الأمر على عكس ذلك تماماً ، دافعاً لسكان المناطق الليبية المتباعدة على الاتصال والتقارب ، فليبيا بموقعها تمثل فراغاً من البيئة القاحلة شبه الجافة والجافة ، واقعة بين مناطق أكثر حيوية ، تتفوق إمكانياتها على قدرات وإمكانيات ليبيا ، وقد نشأت في تلك المناطق الحيوية دول عريقة مستقرة تحدُّ ليبيا من الشرق ومن الغرب كما سبق أن ذكرنا ، أما من جهة الجنوب فتفصلها عن مواقع العمران في أفريقيا فراغات صحراوية شاسعة ، لهذا كان الخطر الخارجي يصل إلى ليبيا غالباً من جهة الشمال أي من خلف البحر على شكل هجرات استيطان أو على شكل غزو ، فقديماً وصل إليها الفينيقيون والإغريق والرومان ، وحديثاً كانت ليبيا مسرحاً لغزوات الحروب الصليبية البحرية وللغزو والاستعمار الأوروبي ، فليبيا قبل اكتشاف النفط كانت دائماً منطقة طرد سكاني ، وكانت مغادرة العناصر المهاجرة منها غالباً ما تكون نهائية ، أي أنها لا تعود إليها بل تذوب عادة في سكان مناطق الجذب المحيطة بها ، أما جماعات السكان التي لم تغادر فإنها تبقى متأقلمة مع البيئة الليبية ومرتبطة بنمط الحياة فيها التي تفرض عليها ربط علاقاتها ودوام صلتها معالجماعات الليبية الأخرى التي تعايشت مع نفس البيئة وانتهجت نفس أسلوب المعيشة السائدة فيها مهما بعُدت المسافات بين مناطقها .

إن سكان الساحل الليبي كانوا يعيشون نفس نمط الحياة السائدة بين سكان المرتفعات الشمالية وسكان النطاق شبه الصحراوي ، فأغلبهم يزاولون الرعي والزراعة المطرية ، وقلة منهم يعمرون قرى ومدن وموانئ الساحل ، ويعيش سكان الواحات الجنوبية وفق أسلوب حياة مختلف قليلاً ، ولكن كل جماعة من تلك الجماعات تعتمدفي جزء من معيشتها على الجماعات الأخرى ، فبعض السلع المنتجة من قبل جماعة معينة تسوَّق لدى جماعة أخرى ، فكثيراً ما نرى البضائع الواردة من خارج البلاد تمر من منطقة إلى أخرى ومن جماعة إلى أخرى في طريقها إلى الاستهلاك الداخلي أو لإعادة تصديرها إلىالخارج ، إن التاريخ الليبي منذ أقدم العصور حافل بذكر نشاط التجارة عن طريق القوافل وعن طريقالبحر..فالمؤرخون الإغريق والرومان والمؤرخون والجغرافيون المسلمون في العصور الوسطى ، وكتبالرحالةوالمستكشفين في العصر الحديث حافلة بذكر قوافل التجارة الواردة من مصر

وتونس إلى الأسواق الليبية ، وبذكر القوافل التي تقطع الصحراء بين بلاد السودان وموانئ الساحل حاملة السلع الأفريقية لنقلها بالسفن إلى أوروبا أو العكس ، تلك البضائع والسلع الواردة من أوروبا عن طريق البحر ونقلها بالقوافل إلى أواسط أفريقيا ، لم يقتصر هذا النشاط التجاري على عصر من العصور ، فقد ذكره هيرودوت ومن تلاه من المؤرخين والجغرافيين حتى يوم الناس هذا .

كيف يمكن لهذا الإنتاج الاقتصادي والتبادل التجاري أن يستمر ويزدهر لو لم تكن هناك علاقات اجتماعية واقتصادية قوية بين مختلف الجماعات الليبية على مختلف مناطقها وأعراقها ، وكيف يمكن لتلك العلاقات والأنشطة الاقتصادية

أن تستمر لولا وجود علاقات بشرية إنسانية ـ عرقية واجتماعية وثقافية ـ بين كل الجماعات التي تسكن كل المناطق الليبية .

هذا الواقع الجغرافي التاريخي الاجتماعي جعل الجماعات والقبائل الليبية التي تعيش على الأطراف البعيدة شرقاً وغرباً وجنوباً تلجأ دائماً إلى الداخل لضمان استمرار حياتها ، خاصة إذا أحدق بها خطر أو ألمت به كارثة واحتاجت إلى الدعم والمساندة ، الشيء الذين كان سبباً في ترابط وتواصل الجماعات الليبية وتضامنها في مواجهة الأخطار القادمة من الخارج أو في مواجهة تلك الكوارث الطبيعية ، أو في مواجهة الصعوبات الناجمة عن البيئة القاسية لتأمين لقمة العيش وضمان استمرار الحياة . فالروابط بين الجماعات الليبية هي في الواقع روابط مبنية على المصالح ، معززة بروابط إنسانية اجتماعية ، وهذه في مجموعها ما نسميها اليوم بالروابط الوطنية التي تربط السكان بالأرض التي يعيشون عليها ، لقد أحسن الدكتور جمال حمدان التعبير والوصف عندما صاغ هذه الظاهرة في العبارة الآتية : " فعلى (لاند سكيب) طبيعي ممزق إلى حد ما ، فرض نفسه غطاءٌ بشري متجانس إلى حد بعيد ، والنتيجة أن الأخير يُخفف ويحيّد من نتائج الأول سياسياً ، بل ويجبّها عملياً " [4].

يبدو أن الناس لم يقتنعوا بتعايش الثقافات واختلاط الأعراق والقبول بالآخر كظاهرة اجتماعية طبيعية إلا في وقت متأخر جداً من تاريخ الإنسانية ، على الرغم من أن الأفكار الإنسانية الخيرة والقيم الإنسانية السامية التي تنادي بها كل الأديان السماوية كانت تحث على المساواة والتآخي والعدل بين البشر مهما اختلفت أعراقهم وثقافاتهم وأساليب معيشتهم . والأغرب من ذلك أن تلك النظرة القديمة المتعالية التي نظر بها الرومان إلى غيرهم من الشعوب باعتبارهم في مرتبة أقل وأطلقوا عليهم اسم برابرة ، وكذلك تلك المعاملة المتعجرفة المتكبرة التي كانت القبائل والجماعات الكبيرة القوية تعامل بها القبائل والجماعات الأقل عدداً وثروة وقوة في الجزيرة العربية وفي أفريقيا وآسيا وقارات العالم الجديد ، والتي كانت نمطاً شائعاً في المعاملات والعلاقات لم يندثر بعد من سلوكنا وأفكارنا ، وما العبودية والفلسفات الاستعمارية والفاشية والنازية إلا امتداد لتلك الأفكار والفلسفات الظالمة القديمة، فما زال عالم اليوم يعاني من تأثيرها السلبي في الأفكار والسلوك والمعاملات ، فبعض مظاهر تحقير الأعراق والثقافات الأخرى ، وعدم القبول بالآخر التي نشاهدها اليوم تظهر بين حين وحين، ما هي في الواقع إلاّ سلوك نابع من فكر خاطئ مستند إلى أسس نفسية متأثرة بمعتقدات سلبية قديمة تحاول الظهور مجدداً .

إن فلسفة عدم القبول بالآخر إرث جاهلي قديم استهجنته كل الديانات والقيم النبيلة ، وينكره كل ذو عقل سليم ، ولكن السلوك الإنساني لم يتمكن من التخلص منه نهائياً ، إذ ما زلنا نرى في عالمنا المعاصر جماعات بشرية تبدي صراحة كرهها لجماعات بشرية أخرى

كما هو حال بعض معتنقي الفكر النازي والتمييز العنصري وبعض المنادين بالفوارق الاجتماعية الحادة بادعاء التميز والسمو الطبقي والنقاء العرقي وغيرها ، هذه الظواهر السلبية توجد في كل أصقاع الأرض لدى الشعوب المتطورة والشعوب الأقل تطوراً ، وفي أغلب الحضارات والثقافات ، ولكن بنسب متفاوتة في الانتشار والحدّة حسب الظروف الطبيعية والبشرية والسياسية والعقائدية ، أي حسب المحيط والبيئة التي تعيش فيها الجماعة البشرية .

لا تخلو ليبيا من مثل هذه الظواهر السلبية ، وكان الشعب الليبي يُعد من أقل الشعوب تطرفاً وعدوانية بالرغم من تعدد أعراقه وتنوع تراثه وثقافاته ، وذلك راجع إلى أسباب عدة ، منها وحدة المعتقد الديني واللغة ، ومنها أيضاً تعود الليبيين على ذلك التنوع لأن بلادهم منفتحة على قارات العالم القديم الثلاث كما عرفنا سابقاً ، فهي تشكل معبراً بين المشرق العربي والمغرب العربي ، وبين جنوب أوروبا وأواسط أفريقيا ، فكل الشعوب والأعراق والثقافات في تلك المناطق احتكَّ بها الليبيون فتأثروا بها وأثروا فيها ، واعتادوا على التواصل معها وتقبلها ، وعدم التعصب ضدها أو تحقيرها ، لأنها تُعد في الواقع جزءاً من مكوناتهم بشرياً وثقافياً .

زيادة على تأثيرات الموقع الجغرافي عملت بعض المكونات الأخرى للبيئة الطبيعة على ترسيخ روح الانفتاح والتسامح والقبول بالآخر بين مختلف الجماعات والعشائر الليبية ، فالطبيعة الجافة القاحلة وندرة الأمطار وتذبذبها جعلت جُلَّ الليبيين يعيشون ـ على مدى قرون عديدة ـ في مستوى اقتصادي متدني ، بحيث اختفت بينهم الفوارق الاجتماعية الطبقية ، فالغالبية العظمى من الليبيين ـ قبل النفط ـ كانت تعتمد على الزراعة المطرية والرعي ، وهي نشاطات ذات دخل محدود وغير مستقر ، إذ يكفي أن تمر بأي منطقة من البلاد سنتين أو ثلاث من انحباس المطر أو عدم انتظامه ليتحول حتى الأغنياء منهم إلى معوزين يعيشون تحت مستوى خط الفقر ، فهم يخسرون كل شيء في سنوات الجفاف والقحط ، ولا يستعيدون توازنهم الاقتصادي إلا بعد سنوات من المعاناة والكدح ، وقد تتكرر المأساة مرات عديدة خلال فترات زمنية متقاربة ، لهذا لم تنشأ في ليبيا طبقات غنية وأخرى فقيرة ، فالفقر والغنى في ليبيا نسبي ، وكل الأوضاع الاقتصادية معرضة للتذبذب والتبدل ، وتتبعها في ذلك الأوضاع الاجتماعية ، فالبيئة الطبيعية في ليبيا اختلفت كثيراً عن البيئات الطبيعية في الدول التي تميزت باستقرار الأوضاع الاقتصادية ، واتسعت فيها بعض الملكيات الفردية للأراضي الزراعية الخصبة المروية ، فنشأت فيها تبعاً لذلك طبقات من كبار الملاّك ، وأخرى من العمال الأجراء أدت إلى وجود مجتمعيألف ظاهرة السادة والعبيد ، وكان من تقاليد تلك المجتمعات وجود طبقات اجتماعية متفاوتة المكانة من طبقات عليا وأخرى متدنية مسحوقة ، أو طبقات محترمة وأخرى محتقرة .

لم يحدث في المجتمع الليبي ـ قبل عصر النفط ـ أن عرفت مثل هذه الظاهرة ، ففي المجتمع الليبي التقليدي كل الفئات متقاربة ، فهي جمعياً أقرب إلى الفقر منها إلى الغنى ، فلا تحتقر فئة مهنية فئة أخرى ، ولا تزدري فئة ثقافية فئة أخرى خاصة بعد اختفاء ظاهرة تجارة الرقيق المجلوب من أفريقيا أو رقيق أسرى الحرب البحريةمع الدول الأوروبية ، لقد انتهت هذه الظاهرة المشينة منذ أوائل القرن التاسع عشر الميلادي ، واندمج المنحدرون من بقايا الرق في الفئات الأخرى ، خاصة وأن أعدادهم لم تكن كبيرة ،لأن أغلب تجارة الرقيق التي عرفتها ليبيا كانت تجارة مرور ، حيث كان الرقيق المجلوب من أفريقيا عن طريقالقوافل يباع إلى تجار من أسواق خارجية ، وهذه التجارة كانت في الأساس محدودة جداًقياساًبتجارة

الرقيق التي كان التجار الأوروبيون يوجهونها مباشرة إلى الأمريكيتين بواسطة السفن التجارية الكبيرة ، أما الأسرى الأوروبيون الذين كانوا يباعون كرقيق فأعدادهم كانت أقل بكثير من الرقيق المجلوب من أفريقيا ، وكان معظمهم يُفتدى من قبل دولهم ويرجعون إلى أوروبا ، ولهذا فإن من يباع منهم داخل ليبيا لا يتعدى العشرات في العام .

وهكذا يتضح أن المجتمع الليبي بكل مكوناته لم يعرف الطبقية الحادة التي عرفت في بعض البلاد الأخرى ، لأن البيئة الطبيعية لم تسمح بها أصلاً ، فلم تعرف المدن الليبية النظام الإقطاعي الذي عرفته بعض المناطق الأوروبية ، وبالرغم من وجود قبائل كبيرة وأخرى صغيرة في محيط البدو في ليبيا ، وأن القبائل الكبيرة القوية كانت تهيمن على القبائل الصغيرة في بعض شؤون الحياة ، إلا أن النظام القبلي في ليبيا لم يعرف هيمنة شيوخ القبائل الإقطاعيين الذي عرفته بعض مناطق الشرق الأوسط ، فشيوخ القبائل الليبية كانوا يعيشون في مستوى مادي واجتماعي قريب من بقية أفراد قبائلهم ، ولم ينتج عن الحروب القبلية في ليبيا - التي كانت تحدث غالباً بسبب الأطماع المادية والسياسية - منتصر يسود ومهزوم يُستعبد ، فأسوأ نتائجها كانت إلحاق الدمار والأضرار وتهجير بعض الجماعات إلى مناطق أخرى ، فالخاسر في الحروب القبلية الليبية كان أحياناً يفقد أرضه وممتلكاته ، ولكن لا يفقد مكانته الاجتماعية ، إذ يجد من يحتضنه من القبائل الأخرى ويعوضه عن بعض خسارته ، فلا يهوى إلى درجة التحقير والعبودية .

لعبت البيئة والظروف الجغرافية الطبيعية ت رغم قساوتها - دوراً إيجابياً في تقارب مستويات المعيشة بين الجماعات الليبية في مختلف المناطق ، الشيء الذي قلل كثيراً من وجود فوارق اجتماعية حادة في مناطق السواحل الشمالية وفي الدواخل الصحراوية على حد سواء ، فلم يكن المجتمع الليبي في يوم من الأيام مجتمع سادة وعبيد أو مجتمع طبقات مترفة وأخرى مُعدمة . في المجتمع الليبي - كغيره من المجتمعات - أدت الأطماع الاقتصادية والسياسية وحب التسلط والتوسع إلى قيام كثير من النزاعات والغزوات والحروب بين الجماعات والقبائل، ولكن التاريخ لم يذكر أن جماعة مهزومة أفناها الجوع أو قهرها التسلط لتتحول إلى فئة اجتماعية مسحوقة أو طبقة منبوذة كما كان الحال في بعض المجتمعات الأفريقية والأوروبية والآسيويةالقديمة ، قد تتراجع الأهمية والمكانة الاجتماعية لبعض المجموعات نتيجة ضعفها وعدم قدرتها على الدفاع عن نفسها ، ولكن الأمر لا يصل إلى مرحلة فقدان كل المقومات الإنسانية وحقوقها الاجتماعية بين بقية الجماعات ، فالأرض والمرعى الذي قد تفقده في منطقتها تجده في مكان آخر بجوار جماعات أخرى تقبل بها وتضمها إلى دائرة تحالفها العشائري ، وقد يصل الأمر مع مرور الوقت إلى إلحاقها بنسبها ، وهكذا تتواصل العلاقات والروابط الاجتماعية ومجالات النشاط الاقتصادي ، فلا يمضي وقت حتى تجد تلك الجماعة نفسها في محيط اجتماعي واقتصادي جديد يحفظ لها كرامتها وإنسانيتها ومكانتها الاجتماعية . فالغالب والمغلوب في تلك النزاعات والحروب يجد نفسه مضطراً إلى مواصلة العمل والكدح لتأمين عيشه في هذه البيئة الصعبة القاسية ، فلا بد لكل إنسان مهما كانموقعه ووضعه الاجتماعي ، ومهما كانت مكانته الاجتماعية أو عشيرته أن يعمل جاهداً لتأمين ضرورات حياته وقوت أولاده وأسرته ، فالمثل الليبي الذي يقول : (لقمة العيش بالعرق موش بالجيش) ، ويقول أيضاً : (الأرزاق عند مقسم الأرزاق) .

ظاهرة جغرافية أخرى أثرت في الوضع الاجتماعي التقليدي في ليبيا وهي أن الموارد الطبيعية لم تسمح بقيام صناعة أو مجتمع صناعي في ليبيا ، فالمجتمعالليبي التقليديارتكزعلى نوعين من النشاط الاقتصادي ، أولاً : الزراعة والرعي، وتركز هذا النشاط فيالريف وضم

أكثر من ثلاثة أربع السكان ، وثانياً: التجارة والخدمات ، وتركز هذا النشاط في المدن، وضم أقل من ربع السكان . فرض هذا الوضع على الليبيين أن يتكونوا من مجتمعين ، أحدهما حضري استقر في المدن ، والآخر ريفي بدوي استقر في النجوع والواحات والقرى ، كما فرض هذا الواقع على هذين المجتمعين أن يعتمد أحدهما على الآخر ، فالتبادل التجاري الذي تقوم به المدن وموانئ التصدير والتوريد يعتمد أساساً على ما ينتجه الريف والمراعي من حبوب ومواشي وغيرها من الغلال الزراعية ، وفي المقابل نجد أن الملابس والسلع التموينية والمعدات والآلات والأسلحة التي يحتاجها سكان الريف والبوادي في حياتهم اليومية تأتي من المدن عن طريق الاستيراد من الخارج أو عن طريق ما ينتجه الحرفيون من سكان المدن نفسها .

اختلف المجتمع الحضري قليلاً من حيث بعض التقاليد ونمط الحياة عن المجتمع البدوي الريفي ، ولكن اعتماد أحدهما على الآخر كان عامل ربط قوي بينهما ، فالمزارعون والرعاة يصرفون إنتاجهم في أسواق المدن التي تمثل المنفذ الوحيد لتصريف تلك المنتجات ، والتجار والحرفيون في المدن يصرفون أغلب بضاعتهم ومنتجاتهم عن طريق بيعها لسكان الريف ، فالقدرة الشرائية لسكان المدن محدودة نظراً لقلة عددهم ، أما سكان الريف والنجوع الذين يمثلون أكثر من ثلاثة أرباع السكان ، يمثلون أيضاً القوة الشرائية الأهم التي يعتمد عليها تجار المدن وحرفيوها في تصريف مبيعاتهم ، فقد جرت العادة أن يكون لكل جماعة من سكان الريف جماعة محددة من سكان المدن يتعاملون معهم ، فيسحبون ما يحتاجونه من سلع ثم يسددون ثمنها لاحقاً ـ على الآجل ـ أي في موسم بيع إنتاجهم الزراعي والحيواني .. لم يكن النقد متوفراً في كل الأوقات ، بل يتوفر فقط في أيام محدودة بمواسم الجني والحصاد وجز الصوف وفرز الخراف بقصد البيع . العامل الجغرافي الطبيعي والبشري حدد أنواع العمل والإنتاج ومواسمها ، وحدد أنماط معيشة السكان في ليبيا على مدى أحقاب طويلة من التاريخ عاش فيها الليبيون متواصلون ومترابطون اقتصادياً واجتماعياً . كان ذلك هو نمط الحياة في المجتمع الليبي التقليدي ، واستمر حتى العصر الحديث أو بتعبير أدق حتى تبدل الوضع الاقتصادي بالاعتماد على النفط وعزوف الليبيين عن العمل في ميادين موارد رزقهم القديم .

من تأثير الظروف الجغرافية في المجتمع الليبي التقليدي أيضاً اختلاف الطبيعة الجغرافية بين السهول الساحلية والمرتفعات في شمال البلاد وبين المناطق الصحراوية في جنوبها ، إذ اختلف تبعاً لذلك الإنتاج الزراعي ، فالحبوب والمواشي كانت السلع الرئيسية في الشمال ، والتمور كانت السلعة الرئيسية في الجنوب ، ولهذا اعتمد أغلب أهل الجنوب في حياتهم على الحبوب والمواشي وبعض السلع الحرفية التي يجلبونها من الشمال ، واعتمد أهل الشمال على التمور الآتية من الجنوب والتي كانت تمثل إحدى الغلال الرئيسية في حياة الليبيين ... وهكذا كان الاتصال بين سكان الجنوب وسكان الشمال مستمراً لا ينقطع ، ولم يقتصر هذا الاتصال على الجانب المادي التجاري فقط بل كان سبباً في خلق علاقات إنسانية اجتماعية متينة ومتواصلة ، ولم تكن الصحراء في يوم من الأيام فاصلاً طبيعياً حاداً بين الليبيين كما يدعي الجغرافيون والرحالة الغربيون ـ بل عاشت بعض قبائل الرُّحّل على تخوم الصحراء ، وكانت تتنقل بقطعان إبلها من الشمال إلى واحات الجنوب ومنخفضاتها في الخريف والشتاء ، وترجع إلى مرابعها في الشمال خلال الربيع والصيف ، وكان تجار القوافل يعتمدون عليها في تأجير الإبل وحراسة القوافلالمتنقلة بين شمال البلاد وجنوبها والتي كان بعضها يتوغل حتى البلاد الأفريقية جنوب الصحراء .

تغير الوضع الاقتصادي في ليبيا تغيراً جذرياً الآن .. ولكن الآثار الاجتماعية التقليدية للأوضاع القديمة لا تزال باقية وظاهرة في نمط العلاقات الاجتماعية ، حيث لم يجد أهل الريف أي صعوبة في الاستقرار في المدن والاندماج في تركيبتها السكانية ، وتواصلت العلاقات الاجتماعية التقليدية القديمة بين المجتمع الريفي والمجتمع الحضري ، ولم يطرأ عليها أي تغيير جذري سوى أن أغلب أهل الريف تحولوا إلى سكان مدن ، وتحولت بعض الواحات والقرى إلى مدن عامرة تتسع كل يوم ويزداد عدد سكانها ، وهم يصنعون الآن تركيبة اجتماعية اقتصادية جديدة في ليبيا ، حيث سيتركز معظم السكان ومعظم النشاط الاقتصادي والحراك الاجتماعي في المدن الذي سيكون لها طابع حضري جديد وعلاقات اجتماعية جديدة ، وسينكمش طابع الحياة الريفية التقليدية تبعاً لانكماش حجم سكان الريف .

أصبح يطغى على البلاد الآن نمط حياة حضرية جديدة يعتمد على ثروة النفط والاقتصاد الاستهلاكي ، فقد بدأت البلاد تشهد توسعاً كبيراً وسريعاً في القطاعين الاقتصاديين الثاني والثالث (الصناعي والخدمي) على حساب القطاع الأول (الزراعي) ، وهو ما بدأ يُحدث تغيراً جذرياً في نمط الحياة الاقتصادية والاجتماعية في ليبيا وسيؤدي حتماً إلى تغيير أسلوب المعيشة ونمط العلاقات الاجتماعية في الحضر والريف على حد سواء .

الخاتمة

إن المقومات الجغرافية لكل دولة من موقع ومساحة وتضاريس ومناخ ونبات وموارد وسكان وإنتاج وحيوية اقتصادية واجتماعية وسياسية ... تتفاعل جميعاً داخل إطار تلك الدولة ، فتعطيها خصوصيتها بين الدول ، وتشكل لها طابعها الوطني الخاص الذي يميزها عن غيرها من الدول ، ويحدد لها مكانتها على خريطة الإقليم الذي تقع فيه، وعلى خريطة العالم .

ليبيا ـ كغيرها من الدول ـ لها مقوماتها الجغرافية الخاصة التي كونت قاعدة وجودها ومكانتها ، وحددت ملامح شخصيتها الوطنية ... إن موقعها وسط الشمال الأفريقية يسَّر لها اتصالات وروابط مع حوض البحر المتوسط في الشمال ومع أفريقيا وراء الصحراء في الجنوب ، ومع المشرق العربي في الشرق ، ومع المغرب العربي في الغرب ، هذا التواجد وسط العالم القديم مهدُ الديانات السماوية والحضارات مكّنها من التواصل مع كل الحضارات والثقافات والأعراق منذ العصور الحجرية فيما قبل التاريخ وعبر كل الحضارات القديمة ، الفرعونية والفينقية والإغريقية والرومانية ، وعبر حضارات العصور الوسطى الإسلامية وصولاً إلى الحضارة المعاصرة التي شملت العالم بأسره .

للتاريخ بعصوره المتتابعة شواهد وآثار في ليبيا تؤكد مواكبتها لكل تلك الحضارات والتغيرات التاريخية ، وتؤكد تأثرها بها وتأثيرها فيها . فعلى الرغم من مساحتها الشاسعة وتنوع تضاريسها ومناخها وغلبة مظاهر الصحراء عليها التي تجعلها تبدو كبيئة طاردة ، إلا أن الجماعات البشرية التي عاشت فيها على مرِّ تلك العصور جميعاً . . كانت قد تأقلمت مع تلك المساحة الشاسعة التي يغلب عليها الجفاف والفقر ، وعاشت متواصلة مترابطة فيما بينها رغم اختلاف أعراقها وثقافاتها ، لقد حقق سكان ليبيا التعايش والتآلف مع كل التيارات الحضارية والثقافية والعرقية التي وصلت إلى بلادهم واستوطنت أجزاءً منها ، وحققوا في الوقت ذاته استمرار تواصلهم وترابطهم والمحافظة على هويتهم الوطنية ونجحوا في ذلك ، كما نجحوا في مواجهة الظروف الجغرافية القاسية لبيئة بلادهم ، وتُعد هذه أهم ميزة لتفاعل عوامل الجغرافيا الطبيعية والجغرافيا البشرية في ليبيا .

الهوامش :

1 . هامشيMargenal : بمعنى الموقع الهامشي الذي يقع في طرف المنطقة أو الإقليم أو على حدودها الخارجية .

2 - شامو (فرانسوا) - الإغريق في برقة ، الأسطورة والتاريخ ، ترجمة : د. محمد عبدالكريم الوافي - منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، 1990 م ، صفحة 24.

3 - الجربي (فيصل علي أسعد) - الفينيقيون في ليبيا ، من 1100 ق.م حتى القرن الثاني الميلادي ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، سرت، 1996 م .

4 - حمدان (جمال) - الجمهورية العربية الليبية ، دراسة في الجغرافية السياسية ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1973 م . صفحة 136 .

لمزيد من التفاصيل أنصح بالاطلاع على المراجع الآتية :

1 - رزقانة (إبراهيم أحمد) - محاضرات في جغرافية المملكة الليبية ، معهد الدراسات العربية العالية ، جامعة الدول العربية ، القاهرة، 1964 م .

2 - شرف (عبدالعزيز طريح) - جغرافية ليبيا ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، طبعة ثانية ، 1971 م .

3 - الجامعة الليبية ، كلية الآداب ، ليبيا في التاريخ ، بنغازي ، 1968 م .

4 - بازامة (محمد مصطفى) - سكان ليبيا في التاريخ ، عصور ما قبل التاريخ ، دار الحوار الثقافي العربي الأوروبي ، بيروت ، 1994 م .